فقد كان من الصعب، في اواسط الستينات، الادعاء بأن أنشاء م.ت.ف. يمكن ان ينطوي على تغيير جوهري في تعاطي الدول العربية، ولا سيما تلك التي ظلت تحتفظ باجزاء من الاراضي الفلسطينية، كالاردن ومصر، ازاء المسألة الفلسطينية. ذلك ان انشاء «الكيان الفلسطيني»، وهو التعبير السياسي المرادف للمنظمة، لم يرتبط، فعلاً، بتخلي الاردن ومصر عن احتكار التمثيل السياسي الفلسطيني، أو ترافق بالسعي الى تسهيل مهمة المنظمة في ممارسة سيادتها السياسية على الاجزاء التي ضمنتها هاتان الدولتان. هذه السيادة التي لو تحققت، لربما تغير مسار الصراع العربي ـ الاسرائيلي بصورة جذرية.

والواقع، ان من الصعب فهم هذا المسار المتعارض في السياسة العربية، الذي ايد انشاء هيئة تمثيلية فلسطينية، في الوقت الذي رفض المساس بالوضع القائم. والمجال الوحيد الذي يمكن البحث فيه لتفسير هذا التعارض، ربما يمكن العثور عليه في تحليل الدوافع التي أملت على الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر تصدُّر الدعوة الى انشاء المنظمة، وهذا ما ينبغي ان نتوجه للبحث عنه في الظروف السياسية التي مهّدت ورافقت الاعلان عن انشاء م.ت.ف.

كانت السنوات الاولى من الستينات تحمل في طياتها مؤشرات غير مريحة للرئيس عبدالناصر؛ فبعد مرور ثلاث سنوات، فقط، على انطلاقة أول تجربة وحدوية عربية بين مصر وسوريا، انهارت هذه التجربة بصورة مدوّية، لتخلّف وراءها سحابة من الانشقاقات، والعداوات، داخل العالم العربي؛ كما أدى السقوط السريع لتجربة الوحدة، الى طرح ظلال كثيفة من الشك على مصداقية المقاربة الناصرية، ليس فقط من جانب الدول العربية المحافظة، المناهضة لسياسة الرئيس المصري بصورة تقليدية، وانما، أيضاً، من جانب حزب البعث الحاكم في سوريا، الذي بدأ، منذ ذلك الوقت، يتجه نحو مخاصمة عبد الناصر، بصورة لا تقل ضراوة عن الدول المحافظة في المعسكر الآخر. وبالقدر ذاته، تقريباً، ترك فشل الوحدة العربية صدمة بالغة الاثر في صفوف النخب السياسية الفلسطينية، أدت الى تكريس القطيعة بين التيارين الرئيسين اللذين انشطرت بينهما الحركة الوطنية الفلسطينية فيما بعد، بغض النظر عن التلاوين الايدولوجية التي اتخذها هذا الانشطار. وعلى الرغم من ان انشاء م.ت.ف. كان بمثابة انتصار للتيار القومي في الحركة الوطنية الفلسطينية، الذي راهن على امكان تحقيق اهداف النضال الوطني الفلسطيني في سياق فعل جماعي عربي قومي، على الصعيد الرسمي، الا انه كان واضحاً، منذ ذلك الوقت، تصاعد تأثير النخب السياسية الفلسطينية الراديكالية، التي اتخذت من فشل التجربة الوحدوية العربية منطلقاً قوياً تستند اليه في موقفها الداعي الى الخروج على اطار الوصاية العربية الرسمية، وتأكيد نزعة فلسطينية استقلالية[٢].

لقد ترتب على هذا الشقاق المزدوج. داخل المعسكر العربي الراديكالي، ومن ثم داخل الحركة الوطنية الفلسطينية، مغزى سياسي وتاريخي بعيد الاثر؛ اذ للمرة الاولى بدأت تبرز و تتبلور مقاربة سياسية على يسار الرئيس المصري، الذي ظل يمارس احتكاراً طاغياً في التعبير عن التطلعات والصبوات الراديكالية العربية. ولم يكن هذا الامر يقتصر، في ابعاده، على حدود الحملات الاعلامية، كما كان يفعل حزب البعث في سوريا حتى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في التشهير بعبدالناصر، بل ان مصدر التحدي الفعلي، وهذا ما ادركه عبدالناصر والشقيري على حد سواء، كان يأتي من التهديد الذي بدأ الفلسطينيون النشيطون في الدعوة الى الاستقلالية يمثلونه لزعامة كلا الرجلين، لا سيما بعد ان قرن هؤلاء القول بالفعل، وبدأوا في ممارسة خطتهم القائمة على أسلوب الكفاح المسلح